

## المحاضرة الرابعة: حضارة بلاد الرافدين

### أولاً : دويلات المدن في عصر السلالات : ( حضارة بلاد الرافدين )

اطلق على المدة الواقعة ما بين (2800 - 2370 ق.م) بعصر فجر السلالات لأنه شهد ظهور أولى السلالات الحاكمة المتمثلة بدويلات المدن السومرية في جنوب العراق لأمثل لكش اويدو الوركاء اور نفر وكيش وغيرها , وكانت كل واحدة تتألف من مدينة مركزية هي العاصمة ويتبعها مدن اخرى وعدد من القرى و الأرياف الاراضي الزراعية وقد تمتعت المدن السومرية بالاستقلال في تصريف شؤونها, ومن اشهر ملوك هذا العصر: (جلجامش) الذي اشتهر بملحمته المعروفة ب (ملحمة جلجامش ) وهي من اقدم الملاحم في تاريخ الحضارات القديمة تدور حول البطل جلجامش احد ملوك الوركاء القدماء فتصف مغامراته و اسفاره مع صديقة ( انكيو) الذي بموته فزع جلجامش وعزم على البحث عن الخلود وبعد اسفار ومشقات عرف ان الذي يطلبه عبث لان الخلود من صفات الالهة وان مصير البشر الموت , و ان الاعمال العظيمة هي التي تخلد البشر, عندها امر بترميم اسوار مدينة الوركاء, هذا الذي عد من ابرز انجازات جلجامش.

وكانت بلاد الرافدين تتكون في هذا العصر من وحدات سياسية صغيرة تسمى دويلات المدن ولكل دويلة ملك او حاكم او كاهن خاص بها , وكان الحكم وقت ذلك ينتقل من الاب الى الابن من بعده.

### ثانياً : نظام الحكم :

لا نعرف نظام الحكم الذي كان سائداً في بلاد الرافدين في العصور التي سبقت ظهور الكتابة اي في عصور ما قبل التاريخ , غير اننا نعرف من الوثائق السومرية انه كان يحكم في كل دويلة من دويلات المدن امير يسمى بالسومرية ( انسي) وكان الامير يستعين بعدد من الحمام و الاداريين المفتشين و الجباة في ادارة دويلة المدينة وقد جرت محاولات عديدة في عصر السلالات لتوحيد سيطرتهم على بقية المدن وتوحيد القسم الاكبر من البلاد ونتيجة لمثل هذا الانجاز السياسي و العسكري فقد اطلق على هؤلاء الامراء لقب (لوكال) اي الملك ويعني بالسومرية الرجل العظيم ويعد الملك سرجون الاكدي من اشهر الملوك العراق القديم ومن ابرز انجازاته:

-قام بتوحيد وسط وجنوب بلاد الرافدين في دولة واحدة ويعد مؤسس الدولة الاكديّة .

-اتخذ مدينة اكد عاصمة له غير ان التنقيبات الاثرية لم تعثر على موقع هذه المدينة حتى يومنا هذا  
و يظن انها تقع في العراق بالقرب من مدينة الحلة الحالية.

-لم يلبث ان توسع على الاقاليم المجاورة وضمها الى مملكته. وبذلك اسس اول امبراطورية في العالم  
القديم.

وأعقبه في الحكم ولداه وبعدهما حفيده نيرام سين (2260-2223 ق.م) الذي يعد من اعظم الملوك  
السلالة الاكدية ومن اهم اعماله بناء قلعة الحصينة على نهر الخابور لحرصه على تقوية حدود مملكته ,  
وكان يلقب بملك الجهات الاربع وذلك للرقعة الواسعة التي شغلها الامبراطورية الاكدية , فقد ضمت تحت  
لوائها اقواما مختلفة والهة متعددة وقد فرضت هذه الفترة عليه ان يحكم دولته وفق مفهوم سياسي لا ديني ,  
لكي تتمكن كل منطقة من المناطق الامبراطورية بالاحتفاظ بقوميتها و الهتها.

### ثالثا: التشريعات و النظم السياسية والادارية.

اهتم الحكام والملوك كثيرا بتنظيم حياة المجتمع وحماية الحقوق وذلك عن طريق تشريع القوانين التي تحدد  
واجبات المواطن وتحقق نشر العدل بين ابناء المجتمع كافة بحيث لا يستغل القوي الضعيف ولا يعتدي  
الغني على حقوق الفقير , هذه القوانين راعت بنحو كبير حقوق الانسان وحمايتها من اعتداءات الاخرين.  
وان اولى الاصلاحات الاجتماعية في العالم القديم جاءت في عصر فجر السلالات السومرية في وثيقة  
تعود الى اخر امراء السلالة لكش الاولى اوروانمكينا الذي حكم في حدود عام (2400ق.م) اذ نجد في  
هذه الوثيقة,تفاصيل كثيرة عن الاحوال الاجتماعية للمواطنين في دويلة لكش قبل تسلمه الحكم,وتعد هذه  
الاصلاحات من اقدم الاصلاحات التي عرفتها بلاد الرافدين واهم ما جاء فيها:

-ان المواطن السومري كان مثقلا بالضرائب التي فرضها عليه الامراء الذين استولوا على الاراضي  
الزراعية بصورة غير شرعية.

-الغاء الكثير من الضرائب وإعادة الى الفقراء حقوقهم المشروعة ولاسيما حقوق الانسان العامة و  
حرياته وكذلك حقوق المرأة وواجباتها وهذا دليل على ايمان الانسان العراقي بالنزاهة.

اما اقدم القوانين المكتشفة حتى الان في بلاد الرافدين بعد اصلاحات (اوروانمكينا) هي الاتي:

- 1-قانون (اور نمو ) مؤسس سلالة اور الثالثة اواخر الالف الثالثة قبل الميلاد وهو مدون بالسومرية
- 2-قانون (لبث عشتار ) خامس ملوك سلالة (ايسن) التي اسسها الاموريون (1794-2017 ق.م) في القسم الجنوبي من العراق , وهو مدون باللغة السومرية ايضا.
- 3-قانون مملكة (ايشنونا) اوائل الالف الثاني قبل الميلاد وقد عثر على هذا القانون في تل حرمل الواقع في بغداد الجديدة هو مدون باللغة البابلية القديمة ويجب حماية هذه الاثار ودرجها ضمن قائمة التراث العالمي
- 4-قانون حامو رابي.(1750-1794 ق.م) سادس ملوك سلالة بابل الأولى وهو مدون باللغة البابلية على مسلة من حجر البازلت موجودة الان في متحف اللوفر في باريس بمسلة حامو رابي و تحتوي على 282 مادة قانونية.

#### رابعا : الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين:

تعد عبادة الظواهر الطبيعية ( المطر الريح الخصب الشمس القمر .... وغيرها ) من اولى المعتقدات الدينية في العالم القديم و اولى المهبودات التي اعتنقتها المجتمعات البشرية ولها علاقة بالزراعة. وكانت على هيئة الهة تمثل الارض و الخصوبة و الظواهر الطبيعية ذات العلاقة الزراعية واهم مميزات المعتقدات الدينية قديما هي:

أ-مبدأ الشرك:ونقصد به تعدد الالهة عند العراقيين القدامى فقد عبدوا العديد من الالهة وسجلت اسمائها في جداول خاصة وأوضحوا علاقتها ببعضها البعض فهناك الاله انو اله السماء و الاله النيل اله الهواء , و الاله انكي ايا اله المياه , والاله عشتار رمز الحب و الحرب , والهة اخرى للظواهر الطبيعية مثل اله الشمس شمس الذي يرمز للعدل , واله القمر سين الذي يرمز للحكمة , كما اعتقدوا ان لكل انسان الالهة الخاصة به اطلقوا عليه الاله الحامي.

ب-مبدأ التشبيه : ان حياة الاله شبيهة بحياة وصفات البشر فالالهة تشابه صفات البشر المحسوسة كالصورة و الأعضاء وغير محسوسة كالفكر و الرأي والعاطفة.كما اعتقدوا ان لكل اله حاشية تتألف من زوجة و اولاد وان الالهة مجالس شورى تعقدها لتقرير شؤون الكون عن طريق المناقشة.

**ج-مبدأ الخلود :** اعتقد العراقيون القدامى بان الالهة تشبه البشر في حياتهم وصفاتهم ولكن تختلف عنهم في صفة اساسية وهي الخلود اي انها لا تموت بخلاف البشر الذين تنتهي حياتهم بالموت في حين قدس المصريون القدامى ملوكهم اذ اعتبروهم الهة يعبدون في اثناء حياتهم و بعد مماتهم لذلك حرصوا على حفظ اجسام ملوكهم الفراعنة محنطة في القبور .

**د-مبدأ التوحيد :** وهو عبادة الله الواحد الاحد سبحانه حيث ظهر العديد من الانبياء و الرسل عليهم السلام في العراق ومنهم ابراهيم الخليل عليه السلام ابو الانبياء حيث ولد في مدينة اور جنوب العراق وساهم في نشر ديانة التوحيد و اعاد بناء الكعبة الشريفة وتعد الديانة المندائية اقدم ديانة توحيدية انتشرت في جنوب بلاد الرافدين ,

### خامسا : المعابد :

تمتعت المعابد بأهمية بالغة في حياة المجتمعات القديمة فضلا عن مزاياها الدينية وكانت لها علاقة وثيقة بشؤون الناس الدنيوية ومركز للقضاء بين الناس ومكانا للتعلم ودورا لحفظ السجلات ومرقا لإيداع الاموال والنفائس اضافة الى ممارسة الطقوس والشعائر الدينية فيها .

ويمكن تقسيم المعبد في بلاد الرافدين الى قسمين منفصلين يسمى احدهما المعبد العلوي ويطلق عليه الزقورة اما القسم الثاني فهو المشيد على الارض قرب الزقورة ويسمى المعبد السفلي , وكانت تقام فيه الصلوات والشعائر الدينية , ويتألف من عدد من الحجرات اهمها حجرة الهيكل , وتوجد فيها دكة القرايين المذبح حيث تتحر الذبائح قربانا للآلهة وفيها يوجد تماثيل للآلهة وهي اقدس مكان في المعبد .

تعريف الزقورة: هي بناء يتكون من عدة طبقات ويقوم فوق اعلى الطبقات معبد صغير يحل فيه اله المدينة في طريق نزوله من السماء الى معبده الكبير المشيد على الارض .

### سادسا:الحياة الاقتصادية و الاجتماعية:

#### **أولا : الحياة الاقتصادية:**

**أ-الزراعة :** اعتمدت الحياة الاقتصادية على الزراعة في بلاد الرافدين والتي ازدهرت بفعل توفر المياه و التربة الخصبة والمناخ الملائم وهذا ما يبين اهمية البيئة في تطور المجتمعات وقد شق السكان القنوات و الترع و السدود واهتموا بوسائل الري و الزراعة واستخدموا ادوات معدنية من البرونز لغرض القيام بعمليات

الزراعة وشتهروا بزراعة القمح والشعير و السمس والأرز والقطن و النخيل اذ تحتل زراعته موقع الصدارة بين اشجار بلاد الرافدين.

وكانت الزراعة في بداية الامر محدودة للاكتفاء الذاتي ثم تطورت واخذ الانسان ينتج اكثر من حاجته الذاتية فبدأ بتبادل المحاصيل الفائضة مع المزارعين الاخرين فكان بداية التجارة التخصص في العمل.

**ب-الصناعة :** لا ريب ان توفر المواد الاولية تساعد على قيام صناعات متنوعة في بلاد الرافدين فكان الحجر في البداية المادة الاساسية لها تم تمكن الانسان من استخدام الطين في صناعة مختلف الاواني الفخارية بعد ان توصل الى صناعة دولااب الفخار الذي اعتمد اساسا لاختراع العجلة كما تعلم العراقيون صناعة الغزل و النسيج و الملابس و الجلود و الزيوت و الخزف و الزجاج ومنذ ان حل الالفا لثالث قبل الميلاد وهو مطلع العصور التاريخية برعوا في صناعة القطع الفنية كتماثيل و المسلات و الاختام الاسطوانية ويزخر المتحف الوطني العراقي بالكثير من القطع الفنية الاثرية.

**ج-التجارة :** كان لموقع العراق المميز اثره الواضح في نشوء التجارة الخارجية وتطورها وازدهارها فهو يقع عند ملتقى طريق التجارة الرئيسية التي تصل بين الخليج العربي وبلدان البحر الابيض المتوسط ونتيجة لافتقاره الى بعض المواد الخام الضرورية كالأحجار و المعادن و الخشب دفع العراقيون القدامى للعمل من اجل توفير تلك المواد من الخارج.

وقد نشطت الحركة التجارية مع بلدان العالم في العصر البابلي القديم حيث قام البابليون بتأمين طرق المواصلات و القوافل واستخدموا المعادن الثمينة كالذهب و الفضة في تقدير قيمة البضائع وكان الكهنة من اثرياء التجارة,

**د-دور قدماء العراقيين في ابتكار النقود :** عاش الانسان القديم لآلاف السنين دون النقود اذا سكن الكهوف و المغارات وقطف ثمار الاشجار وجمع البذور واصطاد الحيوانات دون ان يدفع ثمنا لذلك.

ولكن عند انتقاله الى حياة مستوطنات عرف اولى خطوات الاقتصاد عندما عرف المقايضة : وهي عملية استبدال سلعة بسلعة اخرى فكان الفائض لدى الانسان من الحبوب يذهب به الى السوق لإبداله بسمن او الجلود مثلا , ولان المقايضة لم تلبي رغبات الانسان القديم فقد انتقل الى السلعة الوسيطة , وهي تحديد سلعة معينة , تكون ثمنا لبقية السلع وفي العراق القديم استخدمت الحبوب (الشعير ) و المعادن (الفضة)سلعا وسيطة وهما ذكرته القوانين العراقية التي سلف الحديد عنها على انهم فضلوا الفضة على

الحبوب وهنا ظهر (الشيقل الفضي) وكان وحدة للوزن عند السومريين والاكديين و البابليين والأشوريين , وفي عهد الملك الاشوري سنحاريب 705 – 681 ق.م الذي امر بصنع قوالب للشيقل ونصف الشيقل , وكان الشيقل مألوفاً في الحضارات الاخرى مثل الليدين في بلاد اسيا تركيا حالياً , حيث كانت التجارة عندهم مزدهرة, وتقع معظم مدنهم على السواحل البحرية واستخدمت موانئ تجارية.

اذ تحول الشيقل من وحدة للوزن الى وحدة للنقد بعد ان حدد شكله ووزنه وحمل نقشا على هيئة كف وسمي ب رؤوس عشتار وبذلك يكون قدماء العراق قد قدموا خطوة اخرى من خطوات الحضارة الانسانية جمعاء كالكتابة و الملاحة و الهندسة و الفلك.

### ثانيا : الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع العراقي القديم كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات القديمة يتألف من عدة شرائح اجتماعية منها الفئة الحاكمة المتنفذة و المسيطرة على البلاد سياسيا واقتصاديا ودينيا , و الفئة المحكومة التي ضمنت عامة الناس و العبيد.

وكانت الاسرة تظم الزوج والزوجة و الابناء و البنات وكانت المرأة في المجتمعات القديمة تحظى بمنزلة مرموقة وتساهم في اعمال كثيرة فضلا عن الاعمال المنزلية وتربية الاطفال.

وقد حرص الاجداد القدامى على ارسال ابنائهم الى المدارس لتعليم القراءة و الكتابة كما حرصوا على تعليمهم الفنون و المعارف و الصناعات المختلفة وكان المجتمع القديم يتألف من ثلاث طبقات هي:

1-**الطبقة العليا:** التي تمثل الملك وحاشيته و الحكام الولايات وقادة الجيش وكبار الاداريين ورجال الدين وكانت هذه الطبقة تتميز بنفوذها الاجتماعي وقدرتها المالية.

ب-**الطبقة الوسطى:** وتمثل عامة افراد الشعب.

ج-**طبقة العبيد:** تمثل الافراد الذين كانوا في خدمة الطبقتين على ان الظروف التي دفعت بهؤلاء الى ان يكونوا تحت امرة الاخرين يجب ان لا تؤدي الى مصادرة حقوقهم كما تنص على ذلك القوانين.